2024

فينيق
PHOENIX

عملية طوفان الأقصى
الأهداف، التداعيات، المآلات

مركز فينيق للأبحاث
والدراسات الحقلية

د. منصور أبو كريم
باحث في الشؤون السياسية
والعلاقات الدولية

مركز فينيق للأبحاث والدراسات الحقلية

عملية طوفان الأقصى

(الأهداف، التداعيات، المآلات)

د. منصور أبو كريم

باحث في الشؤون السياسيّة والعلاقات الدوليّة

غزة فلسطين 2024

المحتويات

مقدمة	3
أولًا: السابع من أكتوبر وإعادة إنتاج التاريخ	4
ثانيًا: أسباب ودوافع عملية طوفان الأقصى (7 أكتوبر)	6
ثالثًا: التداعيات والمآلات	12
خاتمة	19

مقدمة

عززت عمليَّةُ طوفان الأقصى التحديَّاتِ الأمنيَّةَ السياسيَّةَ التي تواجه السياساتِ الإسرائيلية تجاه قطاع غزة، فعلى الدوام حضر القطاع بصفته تحديًا أمنيًّا على طاولة صانع القرار الإسرائيلي بعد قيام دولة إسرائيل مباشرة، ومما عزز حضوره الأمني بوجه خاص اعتباره جيبًا عسكريًّا مصريًّا متقدمًا داخل دولة إسرائيل. ففي العام 49، أجرت الحكومة الإسرائيلية برئاسة بن غوريون نقاشًا حول التهديد الأمني للقطاع، وفي حينه طالب بن غوريون باحتلاله وضَمِّهِ، كما تعززت هذه التحديات نتيجة تحول القطاع خلال السنوات الماضية إلى صداع مستمر في عقل المؤسسة الأمنيَّةِ والسياسيَّةِ الإسرائيليَّةِ.

وما يعزز هذه التحديات أن عملية 7 أكتوبر قد جاءت في سياقٍ مختلفٍ تمامًا عن سياقات المواجهاتِ الممتدة والمفتوحة التي حكمت علاقة حركة حماس بإسرائيل، خلال سنوات الانقسام، حيث تخلَّلَتْها العديدُ من المواجهات العسكرية وجولات التصعيد، التي كانت تنتهي بتدخل الأطراف الدولية والإقليمية للوصول إلى وقف إطلاق النار، وهدنة جديدة.

الاختلاف الجوهري الذي صاحب عملية طوفان الأقصى لم يكن نابعًا من كون الحدث مثل نقطة فاصلة في تاريخ العلاقة التي ربطت حركة حماس بإسرائيل خلال سنوات الانقسام، والتي أسهمت من جانب في غض الطرف الإسرائيلي عن استمرار حكم حماس، وجنوح الأخيرة إلى العمل السياسي، وتمكين حكمها في غزة من جانب آخر؛ بل كان نابعًا من حجم الحدث وتداعياته الداخلية والخارجية، حيث مثلت عملية **طوفان الأقصى** علامة فارقة في تاريخ العلاقة بين إسرائيل وقطاع غزة بشكل عام، وحركة حماس على وجه الخصوص.

فمنذ أن قامت حماسُ بعمليَّةِ طُوفانِ الأقصى لم تنقطع التحليلاتُ التي حاولت وضع تَصوُّرٍ شاملٍ للأهداف والأسباب التي دفعت الحركة للقيام بمثل هذه العملية الجريئة والنوعية، والتي غيرت وجه الشرق الأوسط بكامله. لقد طرحت عمليَّةُ السابعِ من أكتوبر العديدَ من التساؤلات حول أسباب ودوافع قيام حركة حماس بالهجوم على مناطق غلاف غزة، واحتلال وقتل العديد من الجنود والمستوطنين الإسرائيليين؟ كما فتحت الباب أمام العديد من التساؤلات حول تداعيات العملية على المستويين السياسي والأمني، خاصة فيما يتعلق باستمرار حكم حركة حماس لقطاع غزة، وجهود المصالحة؟ ومستقبل جهود التسوية السياسيَّةِ بين إسرائيل والفلسطينيين؟

أولًا: السابع من أكتوبر وإعادة إنتاج التاريخ

تأتي أهمية هذه الحرب الاستثنائية من كونها المرة الأولى التي يبادر فيها الفلسطينيون إلى مباغتةِ إسرائيلَ من دون مُقدِّماتٍ بهذا الاكتساح الواسع، وهي الحرب التي وقع فيها أكبرُ عددٍ من القتلى والجرحى في تاريخ إسرائيل حتى اليوم. وهي كذلك الحرب الأولى التي قامت داخل الأراضي التي احتلتها إسرائيل منذ إعلانها عام 1948، وهي الحرب الأولى الفعليَّة التي تعلنُها إسرائيلُ بشكلٍ رسميّ ضدّ فصائل مقاومةٍ وليست ضدّ دول، ولذلك فإنّ هذه الحرب تعدّ استثنائيَّةً بكل المعايير.

لم يكن اختيار7 من أكتوبر أمرًا عبثيًّا، حيث جاءت العملية بعد مرور 50 عامًا على حرب 6 أكتوبر 1973، فقد جاء اختيارُ حركة حماس (للزَّمان، والمكان، واليوم) كمحاولةٍ لإعادة إنتاج التاريخ مرَّة أخرى عبر القيام بعمليَّة عسكريَّةٍ خاطفة، كما حدث في حرب أكتوبر1973، وسعت الحركة من خلالها أيضًا إلى فرضِ واقعٍ سياسيّ جديدٍ على الحكومة الإسرائيليَّة بواسطتها.

يبدو أن الطريق لطوفان الأقصى بدأ بدراسة نموذج حرب 6 أكتوبر 1973، والذي مازال نموذجًا ملهمًا للخداع الإستراتيجيّ من كافة الأبعاد، سواء في التخطيط أو في الخداع الإستراتيجيّ، أو على مستوى التنفيذ السياسيّ والعسكريّ، والدرس المستفاد من هذه العملية هو هشاشة النظام الأمني الإسرائيلي[1].

حينما قامت حركةُ حماس وجهازها العسكريُّ بعملية طوفان الأقصى، ربما كان هدفها تحريك المياهِ الراكدةِ للضغط على حكومة الاحتلال للالتزام بالمرحلة الثالثة من التفاهمات التي تمَّ التَّوصُّلُ إليها برعاية دوليَّةٍ وإقليميَّةٍ قبل عدَّةِ سنوات، والدُّخولِ في صفقة سياسيَّةٍ شاملةٍ، كما حدث بين مصر وإسرائيل عقب حرب أكتوبر 1973، حيث أفضت حرب أكتوبر 1973 إلى التوقيع على معاهدة كامب ديفيد عام 1979، والتي أنهت حالة الحرب بين البلدين، ومهدت إلى الدخول في فترة السلام البارد.

إنّ عمليَّةَ "طوفان الأقصى" تعدّ نقلةً مذهلةً في شكلها ونتائجها وآثارها ليس على الأراضي الفلسطينية فقط، وإنّما على الإقليم بكامله، فالفشل الاستخباريُّ الذريع الذي مُنيت به إسرائيل في توقع العملية نفسها- ناهيك عن توقيتها وشكلها وأبعادها- أسقط سُمعة إسرائيل بصفتها تمتلك أحد أقوى أجهزة الاستخبارات في العالم كله[2].

(1) عبد العليم، محمد، الطريق إلى عملية طوفان الأقصى، (مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة 2023)، ص 9.

(2) معروف، عبد الله، تأثير عملية طوفان الأقصى على المنطقة، (موقع trt عربي)، 12 أكتوبر 2023، متاح على https://m-r.pw/qTXy

لا تشبه هذه الحرب الصراعات السابقة التي واجهتها إسرائيل منذ قيامها. فهذه هي المرة الأولى التي تقع فيها إسرائيلُ ضحيةً لهجومٍ مسلَّحٍ يستهدفُ بشكلٍ واضحٍ سكانَها المدنيين. وفي الأسبوع الأول وصل عدد الضحايا إلى 1400 في يوم واحد فقط، بالإضافة إلى احتجاز 240 شخصًا كرهائن. وقد تباينت ردود فعل المجتمع الدولي فكان أهمها إدانة البيت الأبيض بشدة "الفظائع الإرهابيَّة التي ترتكبها حماس... والتي تطلق العنان للشر الخالص على العالم". كما أكد الأخيرُ دعمَه لحقِّ إسرائيلَ في الدفاع عن النفس [1]. في المقابل حققت الفصائل الفلسطينية مكاسب نوعية غير مسبوقة خلال الجولة الراهنة، حيث تمكن مقاتلو كتائب القسام ليس فقط من اختراق خطِّ الدِّفاع الأول لإسرائيل، ونقل المعركة إلى العمق الإسرائيلي؛ بل في التشكيك في مبدأ أن إسرائيل قوة لا تقهر، إلى درجة أن وصف الكتاب الإسرائيليُّون عمليَّةَ طوفان الأقصى بالصَّدمةِ والكابوس الكبير معًا الذي أرعب بلدًا بأكمله"، وبتكرار يوم الغفران عام 1973م-حرب تحرير سيناء المصرية في السابع من أكتوبر عام 1973م [2].

من المعروف أن الحروب أنواع، فهناك حرب تحرير، وحرب تحريك، وحروب توسع وسيطرة، وهناك أيضًا حروب ردع وتدمير مثل التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة، لقد اعتقدت حماس أن بإمكانها بما تمتلك من أدوات قوة محدودة أن تقدر على فرض معادلةٍ سياسيَّةٍ بالقوة العسكريَّةِ على إسرائيل، التي تمتلك فائضًا من القوة، لذلك لم يكن اختيار (الزمان والمكان واليوم) أمرًا عبثيًّا؛ بل كان محاولة لإعادة إنتاج التاريخ، القيام بحرب تحريك جديدة، قد تكون شبيهة بما قام به السادات في 6 أكتوبر 1973، رغم اختلاف الظروف والمعطيات من أجل فرض معادلة سياسيَّةٍ جديدة، تهدف إلى تعزيز وجودها في المعادلة الفلسطينيَّةِ والإقليميَّةِ.

(1) David Martin Jones, The Political Implications of 7 October 2023, Hungarian Conservative,21/2/2024. https://m-r.pw/egOr

(2) عملية «طوفان الأقصى».. الأسباب والتداعيات والسيناريوهات المتوقعة، المرجع السابق.

ثانيًا: أسباب ودوافع عملية طوفان الأقصى (7 أكتوبر)

في هجوم غير مسبوق، شنت كتائبُ عز الدين القسام - الجناح العسكريُّ لحركة حماس- صبيحة يوم السبت 7 أكتوبر 2023، عملية **طوفان الأقصى** ضد إسرائيل، وتضمنتِ العمليَّةُ تسلل عدد كبير من مسلحي كتائب عز الدين القسام إلى داخل مستوطنات غلاف غزة، وقتل أعداد كبيرة من الجنود والمستوطنين، وأسر العشرات من الإسرائيليين. بدأت عمليَّةُ طوفان الأقصى بإطلاق آلاف الصواريخ تجاه المستوطنات والمدن الإسرائيليَّةِ، كما تسلل مسلحو حماس من البحر والجو الى داخل الأراضي الفلسطينيَّةِ المحتلة[1].

أعلنت حركةُ حماس أسبابَ وأهدافَ عمليَّتِها العسكريَّة في وثيقة مكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، في محاولة من الحركة لشرح موقف الحركة من القيام بها، في ظل نجاح إسرائيل في "شيطنة" الحركة في الغرب. حيث أصدرت الحركة وثيقة رسميَّةً تحدثت فيها عن معركة طوفان الأقصى، وروايتها لأحداث الهجوم المباغت الذي شنته كتائب القسام وفصائل المقاومة يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول الماضي على مستوطنات غلاف قطاع غزة.

وأوضحت حماس في الوثيقة التي جاءت تحت عنوان "هذه روايتنا.. لماذا طوفان الأقصى" أن العملية كانت خطوةً ضروريَّةً واستجابَةً طبيعيَّةً، لمواجهة ما يُحاك من مخططات إسرائيليَّةٍ تستهدف تصفيَّةَ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، والسيطرة على الأرض وتهويدها، وحسم السيادة على المسجد الأقصى والمقدسات، كما استهدفت العمليَّةُ أيضًا العمل على إنهاء الحصار الجائر على قطاع غزة. وشددت على أنها خطوة طبيعيَّةٌ بهدف التخلُّصِ من الاحتلال، واستعادة الحقوق الوطنيَّةِ، وإنجاز الاستقلال والحريَّةِ كباقي شعوب العالم، وحق تقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينيَّةِ المستقلة وعاصمتها القدس[2].

كما أكد (صالح العاروري) - نائب رئيس المكتب السياسيِّ السابق لحركة المقاومة الإسلاميَّةِ (حماس)-: أن عمليَّةَ طوفان الأقصى جاءت استباقًا لهجوم كانت تنوي إسرائيلُ شنَّهُ على قطاع غزة فور انتهاء الأعياد اليهوديَّةِ، وقال: إنَّ الخطة الدفاعيَّةَ للعمليَّةِ أقوى من الخطة الهجومية التي أذهلت إسرائيل وفاجأت العالم[3]. أيضًا عدّد (باسم نعيم) - عضو المكتب السياسي لحركة حماس-

(1) عملية طوفان الأقصى.. الأسباب والتداعيات والسيناريوهات المتوقعة، (المعهد الدولي للدراسات الإيرانية) 13 أكتوبر 2023، متاح https://m-r.pw/jtCm.

(2) وثيقة حركة حماس، لماذا طوفان الأقصى، 2024.

(3) العاروري للجزيرة: لهذه الأسباب أطلقنا "طوفان الأقصى" وخطتنا الدفاعية أقوى من الهجومية، الجزيرة نت، 12 أكتوبر 2023، متاح https://m-r.pw/OqqD.

أسباب قيام حركته لهذه العملية، حيث أشار إلى أنها جاءت كردِّ فعْلٍ على السِّياسات الإسرائيليَّةِ، حيث سعت هذه السِّياسات إلى فرض إسرائيل سيطرتها الكاملة على المسجد الأقصى، بهدف هدمه في نهاية المطاف، ومحاولاتها المستمرة منذ عقود لتهويد القدس، وطرد الفلسطينيين من منازلهم وأراضيهم، وضمها الفعلي للضفة الغربية الأوسع، إلى جانب التهديدات بضم مستوطناتها غير القانونية رسميًّا. كما شملت الحصار المستمر على غزة، والذي تم بموجبه عزل وسجن القطاع الساحلي وسكانه البالغ عددهم 2.3 مليون نسمة[1].

جاءت العملية التي أطلقت عليها حماس اسم "طوفان الأقصى" على خلفيَّةِ الاعتداءات المستمرَّةِ التي تقومُ بها حكومةُ اليمين- الأكثر تطرفًا في تاريخ إسرائيل والتي تضم عتاة المستوطنين- ضد المدنيين الفلسطينيين في الضفة الغربية، مستبيحةً أراضيهم تمهيدًا لمصادرتها وتهويدها، إضافة إلى اعتداءات المستوطنين المتكررة على المسجد الأقصى بحماية الجيش وأجهزة الأمن الإسرائيليَّةِ. أما في قطاع غزة فتستمر إسرائيل في حصارها منذ عام 2006، وتقلّص حقوق الأسرى الفلسطينيين، وتزيد من سوء معاملتهم، وترفض عقد اتفاق لتبادل الأسرى، مستغلةً ضعف الموقف العربي، واستعداد دول عربية عديدة لتطبيع العلاقات معها بمعزل عن الحقوق الفلسطينية، وبعيدًا عن صيغة الأرض مقابل السلام[2].

لكن على الرغم من أهمية الأخذ بعين الاعتبار الأهداف التي أعلنت عنها حركة حماس لعملية طوفان الأقصى، إلا أنَّ هناك العديدَ من الأسباب والدَّوافعِ والأهداف التي حاولت حركة حماس وجهازها العسكرية تحقيقها من خلف القيام بعملية 7 أكتوبر، حيث سعت الحركة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف على المستوى المحلي الفلسطيني، وعلى مستوى العلاقة مع إسرائيل، كما أنها سعت إلى تحقيق مجموعة من الأهداف على المستويين الدولي والإقليمي.

الهدف الأبرز للقيام بهذه العمليَّةِ العسكريَّةِ كان يتمثل في محاولة الحركة تطوير واقع التفاهمات مع الجانب الإسرائيلي، بما يفضي إلى تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي والإنساني المتردي في غزة، عبر ممارسة نوع من الضغط العسكري على إسرائيل، للالتزام بما تمَّ التوصُّلِ إليه قبل سنوات لتوقف مسيرات العودة، حيث تم التوصُّلُ لاتفاق التفاهمات بين حركة حماس وإسرائيل برعاية دوليَّةٍ وإقليميَّةٍ، حيث شمل الاتفاق ثلاث مراحل، **تمثلت المرحلة الأولى** في وقف مسيرات العودة التي انطلقت عام 2018، وإدخال الوقود إلى محطة توليد الطاقة، **والمرحلة الثانية**

(1) Basem Naim, What did 7 October achieve?, The Electronic Intifada 5 February 2024. https://m-r.pw/Qwor

(2) تقدير موقف: عملية "طوفان الأقصى": انهيار الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، 2023) ص 2.

استيعاب عدد من العمال من قطاع غزة للعمل داخل إسرائيل، **أما المرحلة الثالثة** فتضمَّنَتْ تطوير البنية التحتية، وتحسين الواقع الاقتصادي والاجتماعي المتردي من خلال إقامة مشاريع دولية في القطاع.

تضمنت هذه التفاهمات 6 بنود رئيسيَّة ستطبق تدريجيًّا وتشرف عليها أطراف متعددة، وتتضمن البنود الستة أولًا: وقفًا شاملًا لإطلاق النار، وثانيًا فتح المعابر وتوسيع مساحة الصيد، وتتضمن البنود الأخرى إدخال موادّ طبيَّةٍ ومساعداتٍ إنسانيَّة، والعمل على إجراء ترتيبات خاصة لحل قضيَّةِ الأسرى والمفقودين الإسرائيليّين في غزة، وإعادة تأهيل البنية التحتيَّةِ لغزة بتمويلٍ أجنبي، ومن ثم إجراء محادثات حول قضيتي المطار والميناء.[1] في المقابل وضع الاتفاق إشكاليَّةِ التعامل بين إسرائيل وحماس على الطاولة، فهي أثبتت قدرة على الصمود رغم كل التحديات والصعوبات والمعاناة، وإسرائيليًّا تبدو المساحة بين التقييماتِ المتضاربةِ شاسعة جدًّا، أولها أن هناك مصالح حيوية حققتها إسرائيل من هذه التهدئة دون أن يكون هناك أدنى تغيُّرٍ في الموقف الإسرائيلي من حماس كمنظمة إرهابيَّةٍ.[2]

بعد عام 2007، أغلقت إسرائيل حدود غزة لتأديب حماس مع إبقائها في السلطة، والحفاظ على الانقسام السياسي مع نظام الضفة الغربية. وقد سمحت هذه الخطوة للتمويل الأجنبي بمساعدة حماس على التمسُّكِ بالسلطة، في حين أدَّت الضربات العسكريَّة الدورية إلى الحد من انتشارها، وأجبرتها على الالتزام بالأوامر الإسرائيليَّةِ. وقد فشل هذا المبدأ في دفع سكان قطاع غزة إلى الثورة ضد حماس؛ لكنه فشل أيضًا في ترويض النظام، كما استبدلت إسرائيل حلَّ الصراع بإدارة الصراع، وعمِلَتْ على الحفاظ على الانقسام السياسيّ بين قطاع غزة والضفة الغربيَّةِ، ليس بهدف دفع اتفاق السلام مع رام الله إلى الأمام، بل لمنعه.[3]

إسرائيل كانت لا تريد العودة إلى القطاع، والتعامل مع القضايَا الإداريّة الحياتيّة فيه؛ بل كانت تريد الإبقاء على حصارها للقطاع لتتحكّم فيه من خارجه، وعن بُعدٍ وبواسطة، والحفاظ على الوضع الراهن مع حركة حماس كحكومةٍ للقطاع، وتتعامل معها بوساطةٍ مصريّةٍ. وتسديد ضرباتٍ

(1) منصور، أبو كريم، ماذا لو انهارت الهدنة؟.. حماس والاختيار من المُر، (12 أغسطس 2018 مدونات الجزيرة)، في http://bit.ly/3GVJIEj.

(2) حسن، أبو طالب، التهدئة بين حماس وإسرائيل.. دلالات، (24 يونيو 2008)، موقع swissinfo.ch SWI، في http://bit.ly/3Vib7Vz

(3) Menachem Klein, ISRAEL PREFERS TO RECONSTRUCT ITS FAILED STRATEGY, , Carnegie Endowment for International Peace's, FEBRUARY 01, 2024.at https://m-r.pw/nGBG

محدَّدةٍ تمنع حماس وفصائل أخرى من خوض مواجهةٍ مباشرةٍ معها[1]، إلى جانب سياستها الثابتة في الحفاظ على الانقسام الفلسطينيّ أطول فترة ممكنة بلورت إسرائيل سياساتها تجاه سلطة حماس في قطاع غزة، وحدَّدَتْها كالتالي[2]:

1. الحصول على تهدئةٍ واستقرار أمنيٍّ أطول فترة ممكنة.
2. الحفاظ على سياسة الردع تجاه غزة، والبقاء على استعدادٍ دائمٍ للقيام بالاعتداءات للحفاظ على الردع.
3. إبقاء الحصار على قطاع غزة، والسماح بإدخال المواد المدنية والاستهلاكيَّةِ، بما يمنع تدهور الوضع الإنساني.
4. السعي رويدًا إلى وضع حد لمسؤولية إسرائيل عن قطاع غزة، وإنهاء صفة الدولة المحتلة.
5. إشراك مصر كوسيط بينها وبين حماس لوقف إطلاق النار، وكمراقب لمنعِ تهريبِ السِّلاحِ لغزة.
6. إدخال أطرافٍ دوليَّةٍ وإقليميَّةٍ، وخاصة الأمم المتحدة وقطر للقيام بدور.

التفاهمات بين حماس وإسرائيل ارتكزت على تخلي دولة الاحتلال عن نزع سلاح "حماس"، واكتفت بالإفراج عن جنودها الأسرى، ووقف حفر الأنفاقِ الهجوميَّةِ، ومنع أيّ هجمات على إسرائيل من قطاع غزة، مقابل تسهيلات واسعة على المعابر، في ظل وجود توافقٍ دوليٍّ مُتعدِّدِ الأطراف بشأن قطاع غزة، يشمَلُ الإدارةَ الأميركيَّةَ والأمم المتحدةَ ودولًا عربيَّةً وغربيَّةً، يقوم على فصْلِ الإنسانيّ عن السِّياسيّ، ويسمح بتنفيذِ مشاريعَ إنسانيَّةٍ حيويَّةٍ في قطاع غزة خلال الأشهر القادمة[3].

ولتحقيق هذه التهدئة رأينا كيفيّة معالجة إسرائيل للقطاع، من خلال حصاره أولًا، وثانيًا من خلال السعي إلى إضعاف الفصائل لدرجةٍ لن تقوى بعدها على إعادة بناء قوتها، وشحذ طاقات رجالها[4].

لم تكتفِ إسرائيلُ بحصار غزة؛ بل شنت عليه ثلاثة حروب وعددًا من جولات التصعيد، وقد

---

(1) جوني، منصور، قطاع غزّة بين المخطط الصهيوني والطموح المصري، (جريدة العربي الجديد، لندن، 25 يونيو 2023) في https://bit.ly/3qOK4XP

(2) أودي ديكل، سياسة إسرائيل تجاه قطاع غزة: (مركز الأمن القومي الإسرائيلي، تل أبيب 2018) في إبراهيم، محارب، مرجع سابق، ص 114.

(3) عماد، أبو رحمة، آفاق الهدنة بين "حماس" و"إسرائيل" ومخاطرها، (المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات الدراسات الاستراتيجية – مسارات، رام الله فلسطين 2018)، ص 2.

(4) جوني، منصور، مرجع سابق.

جاءت في سياق الإستراتيجية الإسرائيلية لاستعادة الردع ضد حماس في قطاع غزة، والسعي إلى تكبيدها أثمانًا باهظة في الأرواح والممتلكات والبنية التحتية، والمرافق الاقتصادية، والعامة، وهذا جزءٌ أساسيٌّ ومهمٌّ من العقيدة العسكرية الإسرائيلية[1]. لم تكن إسرائيل تهدف قط من خلال حروبها على غزة إلى إسقاط حكم حماس لقطاع غزة، وإنما للحفاظ على الوضع القائم الذي رسمته إسرائيل وفق مصالحها، **ويتمثل في ثلاث نقاط: أولًا:** تكريس الانقسام الفلسطيني بين الضفة الغربية وقطاع غزة. **ثانيًا:** الحفاظ على الهدوء الأمني في ظل الانقسام، وخاصة من غزة. **ثالثًا:** الإبقاء على الحصار المفروض على قطاع غزة مع بقاء الانقسام والهدوء الأمني[2].

في المقابل منذ أحكمت حماس سيطرتها على القطاع جعلت منه المكان الذي تبني عليه أحكامها السياسيَّةُ، وتشتقُّ منه تصوراتها الجديدة. بموجب هذه التصورات صارت غزة الميدان الملموس المكتفي بنفسه، منه تولّد نمط معارفها الجديدة إذا تم اختزالها في تعريف بيروقراطي يعبر عن نفسه بـ(لائحة مطالب)، وظيفتها تشغيل جهاز حكومي يسيطر على المكان، وأصبح التماهي مع غزة والاستئثار بحكمها انطلاقًا من وأولوية السلطة وأسبقيتها عند الحركة، حيث مارست الحركة السياسة والمقاومة لخدمة الوضع القائم بالاتكاء عليه[3].

لقد هدفت حماس إلى تحويل القطاع بحكم تراكُمِ الإجراءات وتداعيات الأمر الواقع وعامل الزمن، إلى ما يشبه كيانًا سياسيًّا واجتماعيًّا وديموغرافيًّا واقتصاديًّا قائمًا بذاته- إذ يكون أقرب إلى أن يصبح دولة دون أن يتحول إلى دولة حقًّا- بامتلاكِها وتطويرها بعضَ المؤسَّساتِ الإداريَّةِ والسِّياسيَّةِ والأمنيَّةِ والتشريعيَّةِ والماليَّةِ الخاصَّةِ بالدَّولة، دون الوصول إلى مستوى الدولة الرسمية ذات السيادة، ودون الحصول على الاعتراف الرسمي[4].

أحد الأصول الإستراتيجيَّة في تثبيت حكم حماس (دويلة غزة) يعود إلى الكيفيَّة التي أدارت بها الحركة العلاقة مع إسرائيل انطلاقًا من فكرة اللائحة، وفي قلب هذه الكيفية يجري التركيز على

(1) مخائيل، ميلشتاين، مقاومة: صعود المقاومة وتأثيره في مفهوم أمن إسرائيل (معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، جامعة تل أبيب، 2010).

(2) مهند، مصطفى، إسرائيل والنظام السياسي الفلسطيني: تكريس الواقع والمزيد من الضعف، (مجلة شؤون فلسطينيّة، العدد 273-274، مركز الأبحاث الفلسطيني، رام الله فلسطين،2018-2019)، 86.

(3) تيسير، محيسن، تحولات سلطة حماس وإعادة إنتاج احتكار الحكم ومصادر القوة في القطاع، (المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، رام الله فلسطين 2022)، ص 3.

(4) إسماعيل، مهرة، غزة "دولة الأمر الواقع" الممكنة، تقرير إستراتيجي (المركز الفلسطيني للأساسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، رام الله فلسطين 2017) ص 11.

الصراع باعتباره عملية مساومة[1] المعادلات والسياقات التي فُرِضت على "حماس" وحصرتها في زوايا ضيقة، وجعلت الطرق المتاحة لها والمفتوحة أمامها محدودة جدًّا[2].

بالإضافة إلى تطوير التفاهمات، وفرض معادلة سياسية تحت النار على إسرائيل من خلال عملية **طوفان الأقصى** سعت حركة حماس إلى تحقيق مجموعة أخرى من الأهداف، كان من ضمنها وقف مسيرة التطبيع العربي الإسرائيلي، حيث كانت دول كبيرة على وشك التوقيع على اتفاق سلام مع إسرائيل تحت ضغوط أمريكية، بالإضافة إلى تعزيز مكانة الحركة في النظام السياسي الفلسطيني، وتصدر المشهد السياسي في حالة نجاح الحركة في فرض معادلةٍ سياسيَّةٍ جديدة على إسرائيل، فالارتفاع الملحوظ في شعبية الحركة بعد 7 أكتوبر يؤكد على أهمية الأخذ في عين الاعتبار هذا الهدف، كأحد أهداف الحركة من القيام بالهجوم على غلاف غزة.

كما سعت الحركة من خلف العملية إلى إطلاق سراح عدد كبير من الأسرى الفلسطينيين من داخل السجون الإسرائيلية، على غرار ما حدث في صفقة شاليط، وهو ما حاولت الحركة فعله عندما استهدفت كتائب القسام سجن عسقلان الأمني، في محاولة للسيطرة عليه وإخراج الأسرى منه. على الدوام كانت قضية الأسرى حاضرة بقوة على أجندة حركة حماس وكتائب القسام، حيث حاولت مرارًا وتكرارًا استخدام ما لديها من أسرى من حرب عام 2014، للوصول إلى صفقة تبادل جديدة يتم فيها إخراج أعداد كبيرة من الأسرى الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية.

(1) تيسير، محيسن، مرجع سابق، ص 4.

(2) أسامة، أبو راشد،، قطاع غزة والمشروع الوطني الفلسطيني، (جريدة العربي الجديد، 20 أكتوبر 2017) https://bit.ly/3VUE6yA.

ثالثًا: التداعيات والمآلات

مع دخول الحرب الإسرائيليَّةِ على قطاع غزة شهرها السادس، ربما من المفيد في هذه المرحلة إجراء تقييم أولي للتداعيات السياسيَّةِ والأمنيَّةِ التي أفضت عملية طوفان الأقصى إليها، خاصة في ضوء التدمير شبه الكامل للبنية التحية، والأعداد الكبيرة من الشهداء والجرحي، مع فرصة كبيرة لاستمرار الحرب لنهاية العام، حسب كل التصريحات الإسرائيليَّةِ.

جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فالعملية التي كان يراد منها تعزيز حكم الحركة، وفرض معادلة سياسيَّةٍ على إسرائيل، وإطلاق سراح الأسرى من السجون الإسرائيليَّةِ تحولت لحرب شاملة، بعد أن أعلنت إسرائيل الحرب على قطاع غزة وحركة حماس، وشكلت حكومة حرب، ونجحت في تجنيد المجتمع الدولي في دعم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

في ضوء النتائج العسكريَّةِ والسِّياسيَّةِ التي تمخَّضت عنها عمليَّةُ السابع من أكتوبر، اعتبرت إسرائيل أن حركة حماس قد كسرت كل الخطوط الحمراء، وأصبحت لا تشكل فقط خطرًا على أمن مستوطنات غلاف غزة؛ بل أصبحت تشكل خطرًا على الأمن القوميّ الإسرائيليّ، فأعلنت الحرب على غزة وحركة حماس، ووضعت أهدافًا للعمليَّةِ العسكريَّةِ في القطاع، تمثلت في القضاء على قدرات حركة حماس العسكريَّةِ والسُّلطويَّةِ، وأكدت على أهمية القضاء على حكم الحركة وإعادة السيطرة على قطاع غزة من جديد.

ومن شبه المؤكد أن السِّنوار لم يكن يتوقع حجم النَّجاحات الأوليَّةِ التي حققتها "حماس"، ومن بينها اختراق السياج الحدودي، ومداهمة المستوطنات الإسرائيليَّةِ دون التعرُّضِ لردٍّ عسكريٍّ إسرائيليٍّ سريع. لكن النجاح لم يتحقَّق على كافة الجبهات. فقد اعتقد السِّنوار على ما يبدو أن التسلل الذي قادته "حماس" سيؤدي إلى شن هجوم متعدد الأبعاد (بحري، جوي، بري) ضد إسرائيل ينضم إليه فلسطينيو الضفة الغربيَّةِ والقدس الشرقيَّةِ والعرب الإسرائيليُّون، والجماعات الحليفة مثل "حزب الله" على طول الحدود الشماليَّةِ لإسرائيل مع لبنان. إلا أن ذلك لم يحدث[1]. حيث بقيت غزة وحيدة في المعركة، سوى بعض المناوشات على الجبهة الشماليَّةِ، وجبهة اليمن في محاولة لتخفيف الضغط على غزة.

ردَّت إسرائيل على عملية طوفان الأقصى بقوة، وأعلنت الحرب على قطاع غزة وحركة حماس، وقررت إسقاط حكمها وتقويض قدراتها العسكرية. إن الأهداف الرئيسيَّةَ لإسرائيل في غزة مدعومة

(1) Neomi Neumann, Sinwar, Mashal, and Israel's Dilemma for the "Day After", Washington Institute for Near Eastern Studies, Feb 9, 2024, at https://m-r.pw/GoiM.

بإجماع واسع النطاق: إزالة حماس من السلطة الحاكمة، وتدمير بنيتها التحتيَّةِ العسكريَّةِ إلى درجة تصبح فيها غير قادرة على العمل في أيِّ شيء آخر غير المجموعات الصغيرة، مما يجعلها غير قادرة على تنفيذ المزيد من الاعتداءات على غرار 7 أكتوبر. إن تحول إسرائيل الحالي إلى أسلوب أقل حدة في الحرب يعتمد على الغارات المستهدفة والعمليات الخاصة لن يغير هذا الهدف. ومن المتوقع أن تستمر هذه المرحلة من الحرب من ستة إلى تسعة أشهر[1].

عشية يوم السابع من اكتوبر أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو حالة الحرب، كما أطلق الجيش الإسرائيلي عملية السيوف الحديديَّةِ[2]. وفي وصفه لأهداف الحرب التي تشنها إسرائيل ضد حركة "حماس" أعلن نتنياهو ما يلي: "سوف نسحق "حماس" وندمرها". لكن ما يعنيه ذلك على وجه التحديد على الصعيد العمليِّ ليس واضحًا. وقد اقترحت أصوات إسرائيليَّة بارزة - وزراء ومسؤولون وجنرالات في الماضي والحاضر - مجموعة من الأهداف المحتملة، بدءًا من نزع سلاح "حماس"، وتجريدها من القدرة على شن مثل هذا الهجوم مجددًا، إلى استعادة قطاع غزة بعد التنازل عنه منذ عقدين تقريبًا لصالح السيطرة الفلسطينية[3]. وأعلن وزير الأمن استدعاء أكثر من 300 ألف من قوات الاحتياط استعدادًا لشنّ حرب على قطاع غزة، وحشد قوات كبيرة في الجبهة الشمالية تحسبًا لإمكانية تفجّر الوضع العسكري على الحدود مع لبنان، وردع حزب الله عن الانخراط في الحرب. وفي اليوم نفسه، اجتمعت الحكومة الإسرائيلية وكلفت "الكابينت" السياسي الأمني المكوّن من 11 وزيرًا باتخاذ القرار بشنّ الحرب أو عمليَّة عسكريَّة كبيرة[4].

كما حددت القيادات العسكريَّةُ والمَدنيَّةُ الإسرائيليَّةُ هدفها من الحرب على قطاع غزة بالقضاء على حركة حماس وحكمها فيه[5]. وفي سياق الحفاظ على الدعم الأمريكي والدولي لحربها على غزة شكلت إسرائيل حكومة حرب، عبر دخول حزب المعسكر الوطني بزعامة بني جانيس وأزكونت لمجلس الحرب، وبدأت في قصف جوي عنيف استهدف البنية التحية، حيث دمرت أحياء بكاملها، مثل (حي

(1) Jonathan Rynhold, ISRAEL'S DEFENSE STRATEGY AND DOMESTIC POLITICS IN SHAPING GAZA POLICY, Carnegie Endowment for International Peace's, FEBRUARY 01, 2024.at https://m-r.pw/nGBG

(2) عملية «طوفان الأقصى».. الأسباب والتداعيات والسيناريوهات المتوقعة، (المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 13 أكتوبر 2023). متاح https://m-r.pw/jtCm.

(3) Robert Satloff, Dennis Ross, David Makovsky, Israel's War Aims and the Principles of a Post-Hamas Administration in Gaza, Washington Institute for Near Eastern Studies. Oct 17, 2023. https://m-r.pw/TWkG.

(4) تقدير موقف: عملية "طوفان الأقصى": انهيار الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، 2023)، ص 2.

(5)ا المرجع السابق، ص 3.

الرمال، والكرامة)، وقامت بإخلاء شمال القطاع من السكان للقيام بعمليَّة برِّيَّةٍ موسعةٍ استهدفت القضاء على البنية التحتيَّة العسكريَّةِ والمدنيَّةِ في إطار ما يعرف بحرب التدمير الشاملة، في محاولة لرفع كلفة العملية العسكرية، وترميم ميزان الردع الذي تضرَّر كثيرًا خلال عملية طوفان الأقصى.

مقارنة بما سبقها من جولات قتال، حصلت إسرائيل على تضامن وتعاطف من بعض الدول على الصعيد الدولي، ووظفت ذلك - مع العدد الكبير من القتلى والرهائن- في شن عملية أكثر عنفًا بحثًا عن استرداد ولو لجزء من هيبتها التي اهتزت في الداخل والخارج، لقد تمكنت القيادات العسكريَّةُ والسياسيَّةُ- عبر وسائل الإعلام الإسرائيلية- من حشد المجتمع الإسرائيلي في تأييد الحرب على غزة على نحو واسع، مستغلةً روح الانتقام التي سادت في إثر عملية طوفان الأقصى[1].

يُعَد الهدف الأكثر منطقيَّة بالنسبة لإسرائيل هو إنهاء سيطرة "حماس" على غزة، لأنه النتيجة الوحيدة التي ستمنع نهوض قادة الحركة من تحت أنقاض الحرب لإعلان النصر بمجرد صمودهم في وجه قوة إسرائيل القاتلة. ومن غير المرجح أن تلبّي النتائج الأخرى احتياجات الحكومة الإسرائيليَّةِ الثلاث الأكثر أهمية، وهي[2]:

- ضمان عدم قدرة "حماس" على شن هجمات في المستقبل.
- استعادة ثقة الإسرائيليين بقدرة حكومتهم وجيشهم على توفير الأمن لهم.
- إعادة تأسيس قوة الردع الإسرائيليَّةِ بنظر الأصدقاء والخصوم في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

قامت إسرائيل بتدمير البنية التحتيَّةِ في القطاع بشكل كامل، حيث شنت حرب تدمير شاملة، لتدمير الجهاز الصحي والتعليمي والمرافق العامة، لتدفيع المجتمع الفلسطيني بكامله ثمن عمليَّةِ طوفان الأقصى، بهدف كي وعي المجتمع الفلسطيني بكامله، وهذا ما حدث من خلال أعداد القتلى والجرحى في صفوف المدنيين الفلسطينيين، وحالة النزوح والتنقل الدائمة في ظل شح الموارد ونقص الغذاء، مما جعل المجتمع الفلسطيني بكامله يدفع الثمن.

بهدف استعادة قوة الردع انتهكت إسرائيل كل الأعراف والمواثيق القانونيَّةِ الدوليَّةِ في العدوان على قطاع غزة تحت ذريعة القضاء على حركة حماس، مخلِّفة الآلاف من الضحايا، في ظل دعم أمريكي

(1) تقدير موقف: الحرب الإسرائيلية على مدينة غزة: أهدافها ونتائجها المتوقعة، ص 3.

(2) Robert Satloff, Dennis Ross, David Makovsky, Israel's War Aims and the Principles of a Post-Hamas Administration in Gaza, Washington Institute for Near Eastern Studies. Oct 17, 2023. https://m-r.pw/TWkG

وغربي كبيرين، واتهامات لدول إقليمية بمساندة حماس[1]. لقد كشفت الحرب المدمِّرة التي تشنُّها إسرائيل على قطاع غزة أن القوة المعيارية والأخلاقية للغرب تواجه تهديد التدمير لمرتكزاتها الفكريَّة والسياسيَّة والحقوقيَّة بسبب الاتجاه نحو صَهْيَنَةِ المجتمع الغربي، والتضييق على حرية الأفراد والجماعات في التعبير عن الرأي وإدانة جرائم الاحتلال الإسرائيلي وسياساته في التطهير العرقي والإبادة الجماعيَّة.[2]؛ لكن قد يتبين أن هذا يمثل نقطة تحوُّلٍ تاريخيَّةٍ في التاريخ خارج إسرائيل، لأنه يعد دعوة للاستيقاظ للغرب بشكل عام[3].

بالنظر إلى ما أعلنته إسرائيل، فإن أهداف الحرب تتراوح بين الانتقام واستعادة قوة الردع، واستعادة الرهائن؛ إلا أن رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أضاف إليها أبعادًا أخرى بقوله: إنها "حرب مصيرية" و"طويلة وصعبة" وإنها "ستغيِّر وجه الشرق الأوسط". ولهذه الحرب وجوه ومسارات عدة يمكن ملاحظة بعضها: أولًا: يطفو على وجه الحرب التي أعلنتها إسرائيل الطابع الانتقامي نتيجة الصدمة، وهو ما تجلَّى في تصريحات قادتها، كقول نتنياهو: "ما سنفعله بأعدائنا سيتردد صداه لأجيال"، وكذلك ما أعلنه وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت عن حصار كامل ضد غزة، "لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق"، واعتبر أن إسرائيل تحارب ضد "حيوانات بشريَّةٍ"[4].

وأمام هذه الجولة الجديدة من الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وما أسفرت عنه من نتائج كانت الكارثةُ الإنسانيَّةُ الملمحَ الأبرز لها؛ إلا أن هذه الجولة أعادت القضيَّة الفلسطينيَّةَ إلى واجهة الأحداث الدولية مرة أخرى، بعد أن أبعدت العديد من الأحداث الدولية- ومنها الحرب الروسية الأوكرانية- هذه القضية وممارسات الاحتلال الإسرائيلي عن دائرة الاهتمام الدولي خلال السنوات الأخيرة[5].

لقد أعادت العملية قضية فلسطين إلى واجهة الأحداث، وذلك بعد سنوات من الجمود والإهمال، وحصرها في القضايا الأمنية، فردود الفعل الدولية والإقليمية تشير إلى أن هذه القضية ستكون في قلب الصراع الجيوسياسي الذي تشهده المنطقة، وربما تأخذ القضية زخمًا أكبر في ظل التنافس

(1) عبد العليم، أميرة، طوفان الأقصى والحرب على غزة، المقدمات والتداعيات، (مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2023)، ص 2.

(2) شقير، شفيق، "طوفان الأقصى": سياقات وتداعيات، (مركز الجزيرة للدراسات، الجزيرة 18 أكتوبر 2023) متاح https://m-r.pw/eFFS.

(3) David Martin Jones, The Political Implications of 7 October 2023, Hungarian Conservative,21/2/2024. https://m-r.pw/egOr.

(4) شقير، شفيق، حرب إسرائيل على غزة: الأهداف المستحيلة والتداعيات في المنطقة، مرجع سابق.

(5) عبد العليم، أميرة، طوفان الأقصى والحرب على غزة، المقدمات والتداعيات، (مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2023)، ص 2.

الدولي القائم، ففي مجلس الأمن حاولت الولاياتُ المتحدة تشكيلَ رأيٍ عامٍّ يدين حركة حماس ويتضامن مع إسرائيل؛ لكن الصين وروسيا كان موقفهما متوازنًا ومساويًا بين الجانبين[1].

كما تعدّ معركة طوفان الأقصى دليلًا آخر على فشل محاولات احتواء حماس أو الحلول الاقتصادية، وسياسة شارون بالانسحاب من غزة، كما أكدت على أهميَّةِ إيجاد تسويةٍ سياسيَّةٍ للقضية الفلسطينية لاستمرار المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، بعد سنوات من الانكفاء الأمريكي عن الانغماس بقوة في القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، والسماح لإسرائيل بتعزيز الاستيطان والتهويد.

لقد فتحت عمليَّةُ طوفان الأقصى فرصة جيدة لتوحيد الصف الوطني الفلسطيني، تحت ضغوط الوضع الكارثي الناتج عن تداعيات الحرب، عبر تشكيل حكومة كفاءات فلسطينية ودخول حركة حماس والجهاد الإسلامي منظمة التحرير الفلسطينية، لقد تمخَّضت عملية طوفان الأقصى عن مجموعة من التداعيات على مجمل الأوضاع في الأراضي الفلسطينية، كان من بينها ما يلي:

- لقد فتحت عمليةُ طوفان الأقصى والحرب فرصةً سانحةً لتوحيد الصف الوطني الفلسطيني، وإنهاء الانقسام عبر دخول حركة حماس والجهاد الإسلامي منظمة التحرير الفلسطينية، عبر إعادة بناء وإحياء مؤسسات المنظمة. فالخطوة الأهم في الوقت الحالي هي بناء المؤسسات السياسيَّةِ الفلسطينيَّةِ والمشروع الوطني الفلسطيني ليعكس المتغيرات التي شهدتها العقود الماضية ليكون ممثلًا حقيقيًّا لتطلعات شعبنا وتضحياته وتجربته السياسية[2].

- أعادت العملية القضية الفلسطينية إلى واجهة الأحداث الدولية، وأعادت الحديث عن حلِّ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ وحلِّ الدولتين، وحماية المدنيّين وتطبيق القانون الدولي والإنساني، والتحقيق في الجرائم المرتكبة، ومحاسبة مرتكبي هذه الجرائم[3]. فبرغم نجاح إسرائيل في إطالة أمد الاحتلال و"إدارة الصراع"، لكنها عمليًّا لم تقضِ على القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، ولم تقضِ على فكرة وحلم تقرير المصير[4].

---

(1) عملية «طوفان الأقصى».. الأسباب والتداعيات والسيناريوهات المتوقعة، (المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 13 أكتوبر 2023)، مرجع سابق.

(2) Basem Naim, What did 7 October achieve?, The Electronic Intifada 5 February 2024. https://m-r.pw/Qwor

(3) بحاك، حميد، عملية "طوفان الأقصى"، الدلالات والتداعيات، مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، 24-10-2023، متاح https://cerss.org/archives/4943

(4) جاكي خوري، صحفية هارتس، ترجمة مصطفى إبراهيم، مركز أطلس للدراسات 24 شباط 2024.

- وفرت العملية - وما صاحبها من تداعيات محلية وإقليمية ودولية، تمثلت في حالة عدم استقرار شامل في منطقة الشرق الأوسط- مساحة من العمل السياسي أعادت التأكيد على أهمية الوصول إلى تسوية سياسيَّةٍ وفق مبدأ حلِّ الدولتين، ومهدت إلى استعداد إدارة بايدن لطرح مبادرة سياسية جديدة، بالتعاون مع دول الاعتدال العربي تقوم على أساس إعادة إحياء مسار التسوية السياسيَّة، وقيام دولة فلسطينية مقابل تسريع عجلة التطبيع العربي الإسرائيلي.

- أدَّت العمليَّةُ إلى تراجع شعبية نتنياهو وحزب الليكود في الشارع الإسرائيلي، وحصول تقدم ملحوظ لحزب المعسكر الرسمي بقيادة بني جانس وأزنكونت، بعد الإخفاق الأمنيِّ والسياسيِّ الذي منيت به إسرائيل في السابع من أكتوبر، والذي يتحمل نتنياهو المسؤولية الكبرى عنه، مما قد يشكل بداية انتهاء حكم نتنياهو وكتلة اليمينِ الدينيِّ المتطرف في إسرائيل، وصعود يمين الوسط بقيادة جنرالات الجيش مرة أخرى.

- أدَّت العمليَّةُ إلى حالة دمار شبه كامل لقطاع غزة، بعد أن شنَّت إسرائيل حربَ تدمير واسعة، استخدمت فيها كل أنواع الأسلحة، لقد أدت الحرب والعدوان المستمر إلى تدمير البنية التحتية والجهاز التعليمي والصحي، والمرافق العامة، بعد أن دمر الاحتلالُ أحياءً كاملة، وأقام منطقةً عازلة على طول الحدود الشرقيَّةِ للقطاع مع إسرائيل، كما قتل حتى الآن أكثر من 30 ألف مواطن، وجرح أكثر من 100 ألف.

- أسهمت العمليَّةُ في القضاء على ما يعرف بفكرة دويلة غزة، وهي الرؤية التي كانت تهدف إلى إنشاء كيان ما في قطاع غزة، بعيدًا عن الضفة الغربية، في محاولة لاستمرار فصل الجغرافيا السياسيَّةِ الفلسطينيَّةِ. فإن مشروع دولة غزة كان يرتبط أكثر من أيِّ شيء آخر بالانقسام الفلسطيني الذي بدأ منذ حزيران/يونيو 2007، ونتج عنه سيطرة "حماس" بالقوة المسلحة على مؤسسات السلطة الأمنية والمدنية في القطاع، وتشكيل سلطة أمر واقع بعيدًا عن السلطة الوطنية، وتفرد "حماس" بإدارة مختلف جوانب السلطة والحياة في القطاع، بما في ذلك تشكيل أجهزة واستحداث هيئات وسن قوانين، والشروع في جباية الأموال، مما جعل القطاع يخضع كليًّا لسلطة منفصلة عن السلطة الفلسطينية[1].

- وضعت العمليَّةُ والحرْبُ الإسرائيلية حكمَ حركة حماس لقطاع غزة على المحك، في ظل الملاحقة الأمنيَّةِ الإسرائيليَّةِ للبنية السلطوية لحكم الحركة في غزة، خاصة في ظل إصرار إسرائيل ونتنياهو على تحقيق مطلق لأهداف الحرب، التي تتمثل في القضاء على قدرات فصائل المقاومة العسكرية، وتقويض حكم حركة حماس في قطاع غزة، حيث وضعت العملية النظام الأمني

(1) إسماعيل، مهرة، غزة "دولة الأمر الواقع" الممكنة، تقرير إستراتيجي (المركز الفلسطيني للأساسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات، رام الله فلسطين 2017)، ص 8..

والإداري الذي أنشأته الحركة في قطاع غزة خلال سنوات الانقسام أمام تحديات جمّة، من خلال الاستهداف المباشر من قبل الجيش الإسرائيلي للمؤسسات الأمنية والإدارية التابعة لحكومة غزة، بشكل يجعل استمرار هذا الحكم في ظل سيطرة الجيش الإسرائيلي على معظم مدن القطاع أمرًا شبه مستحيل.

- أسهمت العمليَّةُ في تأخير أو تأجيل مشاريع التطبيع مع إسرائيل أو إبطال مفاعيلها على مستوى المنطقة، خاصة في ظل تصاعد موجة الغضب الشعبي في البلدان العربيَّةِ والإسلاميَّةِ والعالميَّةِ، والمطالبة برفض التطبيع وطرد سفراء إسرائيل من الدول التي تربطها علاقة ديبلوماسية داخل العالم الإسلامي، فهذه الاتفاقيات الإبراهيمية التي اعتبرها رئيس الوزراء الإسرائيلي نتانياهو نصرًا ديبلوماسيًّا لإسرائيل ولحكومته قد تآكلت[1]. فلقد بدا أنّ مشروع التطبيع في مأزق، حيث إن القفز على المكوّن الفلسطيني، وبلورة تسوياتٍ ثنائية بيْن دولة الاحتلال وبلدان في الإقليم لا يضمن الأمان لإسرائيل[2].

- أسهمت العملية في تآكل قوة الردع الإسرائيلية، وشكلت ضربة موجعة لأسطورة (الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر)، والذي يحقق ويحمي الأمن والاستقرار الإسرائيلي، حيث تقوم عليهما السياسة الإسرائيلية في جذب يهود العالم إلى إسرائيل، وخلقت أيضًا حالة من القلق الوجودي على كيان إسرائيل ومس بمعنويات الإسرائيليين، والذي تغذيه بعض المعتقدات اليهودية والتلمودية التي تتحدث عن زوال إسرائيل كما زالت "ممالك إسرائيل" في السابق، والتي لم تعمر أكثر من ثمانية عقود، أو بدأت في التفكك منذ العقد الثامن لها حسب بعض النبوءات الإسرائيلية.[3]

-

(1) بحاك، حميد، عملية "طوفان الأقصى"، الدلالات والتداعيات، مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، 24-10-2023، متاح https://cerss.org/archives/4943.

(2) الجمعاوي، أنور، عن تداعيات طوفان الأقصى، جريدة العربي الجديد، لندن، 21-10-2023، متاح https://m-r.pw/OLhI.

(3) بحاك، حميد، عملية "طوفان الأقصى"، الدلالات والتداعيات، مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، 24-10-2023، متاح https://cerss.org/archives/4943.

خاتمة

هدفت حركة حماس من خلف عملية طوفان الأقصى إلى تعزيز حكمها المنفرد في غزة، عبر القيام بعملية عسكرية خاطفة ضمن مفهوم (حرب التحريك)، لدفع إسرائيل إلى الالتزام بالتفاهمات، وتطويرها لاتفاق شامل كما حدث بعد حرب أكتوبر 1973، لكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فاتساع نطاق الهجوم، وعدد القتلى في صفوف الجيش والمستوطنين في مناطق غلاف غزة أدى إلى إعلان إسرائيل الحرب على الحركة، وأدى إلى نتائج كارثية تمثلت في تدمير البنية التحتية بصورة شبه كاملة في القطاع، وتدمير البنية العسكرية والسلطوية لحركة حماس في القطاع، وتغير شبه جذري للوضع الأمني والسياسي الذي ساد القطاع خلال سنوات الانقسام.

رغم استمرار الحرب ودخولها الشهر السادس؛ إلا أنها ألقت بتداعيات كثيرة على مجمل الأوضاع في الأراضي الفلسطينية، وعلى الوضع الإقليمي، فالعملية التي كان يراد منها تعزيز سيطرة الحركة على القطاع بشكل أو بآخر أفضت إلى وضع حكم حماس للقطاع على المحك، وأسهمت في إعادة إحياء مسار المصالحة، كما أنها وضعت مستقبل نتنياهو السياسي في مأزق في ظل استمرار تراجع التأييد الشعبي له، كما أنها وفرت فرصة جيدة لإعادة إحياء جهود التسوية السياسية وفق مبدأ حل الدولتين، في ظل تصاعد حالة عدم الاستقرار الذي تشهده منطقة الشرق الأوسط بكاملها.